١٤ البيع وتطبيع العقل الإخواني

من الأمور الغريبة التي شدت اهتمامي في الآونة الأخيرة تكرار استخدام كلمة الدين في كثير من المعارك السياسية المحتدمة في بلدان كثيرة من العالم، وكأن ما هدد به بوش منذ سنوات، من أن الحروب القادمة في القرن ٢١ ربما تكون حروب دينية، وهذا الأمر جعلنا نرصد ملاحظات ثلاث أولها أن جماعة الإخوان المسلمين لا تختلف كثيرًا في استخدام الدين كوسيلة لجلب المكاسب السياسية ولا سيما في المناطق التي ينتشر فيها الجهل وتقل معدلات التعليم وتنخفض معدلات الوعي، عن أولئك الذين يتسولون بالدين على الأرصفة وعلى أعتاب المساجد وفي الميادين العامة لجلب مكاسب مادية. وأن نظرة جماعة الإخوان للدين جعلتهم يتجاوزن فكرة الحدود القومية والثقافية للمجتمعات.

فلا غرابة أن تنشر جماعة الإخوان خريطة جغرافية لمصر دون حلايب وشلاتين، أو تأتي كتب الجغرافية بخريطة منقوصة من مثلن حلايب. ولا غرابة أن نسمع عن استعداد جماعة الإخوان للتفاوض لحل القضية الفلسطينية مقابل التفريط عن أجزاء من سيناء أو ربما سيناء بكاملها .. ولا غرابة أن نسمع ونشاهد المرشد العام يقول: "طز في مصر" ولا غرابة أن نسمع عصام العريان يطالب بعودة اليهود إلى مصر من منطلق

أن الأرض جميعها ملك لله ويحق لفصيل إنساني احتكار ملكيتها أو السيطرة عليها .. مما يجعلنا نتشكك في احتمالية تطبيع العقل الإخواني مقابل الاحتفاظ بالسلطة!!!

والملاحظة الثانية أن تلاعب الأنظمة باستخدام الدين لحصد المكاسب السياسية ليس حكرًا على جماعة الإخوان المسلمين،، فقد استخدمت إسرائيل في حربها الأخيرة على غزة شعار عمود السحاب باعتباره موروث ديني ليكون شعارًا للمعركة وتحقيق فتوحات صهيونية جديدة داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة .. وإذا كانت جماعة الإخوان ترى أنها جماعة أو تنظيم رباني محصن ضد الهدم أو الانهيار أو الفناء من الداخل أو الخارج وأنهم أحق بالحكم من غيرهم وأنهم وحدهم دعاة الدين وأصحابه ومن خالفهم في الرأي أو انتقد أوضاعهم فقد انتقد الإسلام ذاته ،، فاليهود يرون أنهم شعب الله المختار وباسم تلك العقيدة يعطون لأنفسهم الحق في السيطرة على العالم وإذلال كافة الشعوب، ومادام الله قد خصهم بالتمييز فإن أرض الله جميعها حق لهم، من عارضهم حق عليهم إبادته،، وأن أمريكا نفسها منذ سنوات تغطي تحركاتها العسكرية بأقنعة وشعارات دينية، ولعل حربها على الإرهاب في أفغانستان والعراق خير شاهد على ذلك،، فالأمريكان يعتقدون في أن الله بارك لأمريكا، لذا نجد هذه العبارة مكتوبة على كافة العملات الأمريكية ويرددها كافة رؤساء أمريكا في خطبهم السياسية.. ففي حين تتغنى بعض شعوب العالم الثالث بالحضارات التي بناها أجدادهم، ويرجعون ما حققوه من تفوق أو تقدم لقدراتهم الخاصة .. نجد الأمريكان على النقيض .. فهم يشعرون أن ما حققوه من تقدم وتفوق ما هو إلا منحة من الله، وأنه لم يأت لكونهم يستحقوه، أو لقدرات خاصة بهم تميزهم على سائر الشعوب .. فثمة فريق كبير من الأمريكان يتخوفون من انهيار أمريكا ويعتقدون في أن الله سوف يعاقب أمريكا بالانهيار نظرًا لانتشار الذنوب والخطايا بها، ويروج لهذه الفكرة أنصار التيار الإنجيلي الأصولي في أمريكا.

أما ملاحظتي الثالثة تتعلق بمبالغة الإخوان في استخدام الشعارات الدينية في خطبهم السياسية والإصرار على جعلها قانونية من خلال تضمين قانون للانتخابات البرلمانية بمواد تسمح باستخدام الشعارات الدينية في الانتخابات، ويخرج علينا بعض من أعضاء الجماعة أمثال صبحي صالح يتهم كل من يعترض على هذه المواد بأنه ملحد،، كما يعتبرون كل إعلامي ينتقد الرئيس أو سياسات الإخوان بازدراء الأديان كما حدث مع باسم يوسف أو تكدير السلم العام كما في حالة جابر القرموطي .. كل ذلك يجعل التكهن بقرب نهاية الإخوان بالإضافة إلى ما ذكرته في مقالاتي السابقة .. وليس الإخوان فحسب .. وإنما أتصور سقوط كافة الأيديولوجيات والتيارات والدول التي تجار بالأديان وتزج بها في معاركها السياسية القذرة. وأن الدول القادمة هي تلك التي تجعل الدين في قداسته السماوية الطبيعية كموجه لسلوك الإنسان نحو الحياة الإنسانية الفضلى .. الدين المانع لكل ما يحط من كرامة الإنسان ويجرم اختراق خصوصيته .. الدين الذي يجعل جريمة القتل وسفك الدماء من أبشع الجرائم الإنسانية ولا يضع مبررًا لارتكابها إلا في القصاص ويكرم من تَسامح .. الدين الذي يُقَوِّم السلوكيات الإنسانية المعتلة ويفرز للمجتمعات مواطنين قادرين على خدمة الوطن وربما البشرية جمعاء.. الدين الذي يحض على احترام قيمة العمل ويعزز مبدأ الشورى وينأى بأصحابه عن حب السلطة والسيطرة ويرهبهم من تحمل مسئوليات الحكم .. ولهذا ربما تأتي الصين متحررة من الشعارات الدينية ومتواضعة في تقييم قدراتها الخاصة لتقدم للعالم نموذجًا جديدًا في التفكير وبديلًا مناسبًا لأمريكا في قيادة العالم دون شعارات دينية معينة بل بقيم إنسانة جديدة تقدس العمل وتنذر بإسقاط الشعوب العنصرية.

□ □ □ □